الإسلامُ بَيْن الغلو والجفاء والإفراط والتّفريط

تأليف

سَمَاحَةِ الشَّيْخِ العَلاَّمَةِ
عَبْدِ اللَّـهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن جِبْرِيْنٍ
ـ حفظهُ اللّـه تعالى ،ورعاهُ ـ

قام بتنسيق الرّسالة ونشره :

سَلمَانُ بْنُ عَبْدِ القَادِرِ أبُوْ زَيْدٍ
غَفَرَ اللَّـهُ لَهُ ،ولِوَالدَيْهِ ،ولِمَشَايخِهِ ،ولجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ.

« تقديمُ فَضِيْلةِ الشَّيخِ العَلاَّمَةِ عبدِ اللَّـهِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ جِبرينٍ » :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فقد كنت ألقيت في بعض المساجد محاضرة ارتجالية مختصرة في ذم الإفراط والتفريط، تعرضت فيها للعقائد والأديان والعبادات، والتروك والنيات والمعاملات، ونحو ذلك، وذكرت أن الناس فيها ثلاثة أقسام: طرفين ووسط.

فأحد الطرفين : فرّط وأهمل وتساهل، ولم يقم بالواجب الذي تبرأ ذمته به، أو يمدحه به كل ذي عقل سليم؛ فهذا ملوم على تقصيره، وقد لا تجزئه عبادته.

والطرف الثاني: تشدد وبالغ وكلف نفسه ما لم يؤمر به، وزاد على القدر الواجب ما أفسده أو فوت المقصود منه، ولا شك أن هذا مذموم حيث شق على نفسه وركب الصعوبات، وأنهك نفسه وشق عليها بفعل ما لم يأت به شرع ولا دليل، مما ينفر عن العبادات، ويجعلها شبه عقوبات لا تطاق إلا بكلفة ومشقة.

أما الوسط: فهو دين الله الذي هو يسر وسهولة، لا تفسد معه العبادة بفوت ركن أو واجب، ولا ينقص ثوابها بترك سنة أو فعل مكروه، ولا تشق على النفس ويحصل بها الملل والضجر.

ثم إن بعض الحاضرين سجلها ونسخها، وعرض عليّ نشرها على حالتها فلم أر مانعا من ذلك، وأنا أعتذر عما بها من ركاكة الأسلوب والنقص في بيان المعاني؛ فهذا دليل أن النقص صفة الإنسان، وكم أستحضر معنى أو دليلا فيغيب عني وقت الإلقاء، وكم أذكر حكمة أو دليلا بغير ما هو مشهور به. فهذا ما بلغه علمي والله عفو غفور، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

قاله وكتبه

عبد اللَّـه بن عبد الرَّحمن الجِبرين

19/ 2/ 1413 هـ

« المُقَدِّمَةُ » :

إن الحمد لله نحمده ونشكره ونثني عليه ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، ولا رب لنا سواه، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد[1] :

فإن دين الإسلام وتعاليمه وسط بين الإفراط والتفريط؛ ذلك أن الإسلام جاء منظما لمصالح العباد، وأتمّه الله تعالى وجعله أكمل ما يرام، وضمنه فعل كل مصلحة، والنهي عن كل مفسدة، فلا جرم أن كان هذا الدين هو الدين الذي فطر الله العباد على استحسانه، والميل إليه.

وقد اختار الله تعالى لنا دين الإسلام فقال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[سورة المائدة، الآية: 3] أي اختاره -سبحانه وتعالى- ورضيه دينا للعباد يدينون به، ويتقربون به إلى ربهم، وأخبر بأنه الدين الحق، وما سواه فهي أديان باطلة أو منسوخة فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[سورة آل عمران، الآية: 19] أي هو الصحيح، وما سواه من الأديان فإنها منسوخة.

فقد نسخ الإسلام الأديان السماوية السابقة، وحل محلها، وتضمن ما فيها من العبادات والمعاملات، فقام مقام كل ما سبقه من الأديان، وزاد على ذلك بما هو مناسب وملائم لحال العباد والبلاد.

---

[1]() أصل هذه الرسالة محاضرة لفضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين، نسختها في أوراق وصححتها حسب اجتهادي، ثم عرضتها على فضيلة شيخنا فصححها، وأذن بنشرها، أسأل الله أن ينفعنا جميعا بها، وأن يكتبها في موازين أعمال كل من ساهم فيها، إنه ولي ذلك والقادر عليه (أبو أنس).

وقد أخبر -سبحانه وتعالى- بأن من ترك دين الإسلام وخالفه فهو خاسر، تائه ضائع، فقال -تعالى- : { **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** }[سورة آل عمران، الآية: 85] ذلك أن هناك ما يسمى أديانا يدين بها من يعتنقها ويعتقدها من عباد الله، ويزين لهم الدعاة إلى تلك الأديان أنها أديان حقة صحيحة.
وفي الصفحات القادمة فإننا نتأمل ونتعقل تلك الأديان التي يدين بها ويعتنقها الكثير من عباد الله، وهي باطلة، وكيف كان الإسلام وسطا؛ لا إفراط، ولا تفريط !

نسأل الله أن يوفقنا لخدمة الإسلام، وأن يكون عملنا خالصا لوجهه تعالى، وإعلاء كلمته. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

« مفهوم الإسلام » :

إن الإسلام الحقيقي هو الاعتراف بالله إلها وربا وخالقا، والديانة له بالعبادة كما فسره الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- حيث يقول في الأصول الثلاثة :
« الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله».
فبيَّن -رحمه الله- أن المسلم الحق هو المذعن المنقاد المتذلل، الذي متى علم أن هذه الخصلة من الإسلام جاء بها واتبعها، ولم يتخلف عنها، ومتى علم أن الإسلام حرَّم أو نهى عن هذه الخصلة ابتعد عنها، ودان لله تعالى بتركها، هذا حقا هو المسلم.
ونحمد الله أن حفظ علينا شعائر ديننا؛ فجميع المحرمات أدلتها موجودة في الشريعة؛ واضحة في الكتاب والسنة، وكذلك فإن جميع الواجبات والعبادات المشروعة، أدلتها موجودة أيضا في الكتاب والسنة، فلسنا بحاجة إلى تحكيم العقول، ولا أن نزن بأهوائنا ما يلقى إلينا، وما يسوقه إلينا أولئك الأعداء الذين يجعلون أهواءهم في الميزان، فما وافق هواهم اتبعوه وشرعوه، وما لم يوافق هواهم اجتنبوه.
وإذا كان الإسلام قد تضمنته الشريعة وأدلتها واضحة صحيحة، فليس للمسلم أن يدين بأية قربة أو طاعة إلا بعد أن يثبت له دليلها، وليس له أن يحرم أية خصلة إلا بعد أن يتحقق دليلها من كتاب الله أو من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
ولقد تكفل الله -سبحانه وتعالى- ببيان هذا الدين، وجعله كاملا، فأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم في آخر حياته: { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** }[سورة المائدة، الآية: 3] واكتمال الدين احتواؤه على كل خير، ونهيه عن

كل شر، ولقد بين وكمّل تعاليمه وتفسيره وإيضاح معانيه النبيُّ الكريم صلى الله عليه وسلم، الذي كلّفه الله أن يبين للناس هذا الدين، فقال -تعالى- : { **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** }[سورة النحل، الآية: 44] أي: لتبين لهم بالأمثلة وبالإيضاح التام ما أجملت أحكامه في القرآن، فإذا بيّنه النبي -صلى الله عليه وسلم- بأفعاله، كان هذا البيان من الله تعالى؛ لأنه وحي وتشريع.

روي عن أحد الأعراب- لما دخل في الإسلام- قوله: إني تأملت ما جاء به محمد فرأيته ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه، وما نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به.

والمراد هنا العقول السليمة، والفطر المستقيمة، فإنها تشهد بحسن هذا الدين، وباحتوائه على كل خير، وبزجره عن كل شر، وتشهد كذلك بمطابقته وملاءمته للمصالح، واحتوائه على كل ما ينظم الحياة تنظيما حقا كاملا صحيحا، فكان ذلك هو السبب الذي لأجله اختاره الله لهذه الأمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والضلال، إلى نور الحق والإيمان، فكان حقا على عباد الله الذين هداهم الله فأقبلوا بقلوبهم إلى اعتناقه، وصدقوا الرسول الذي جاء به؛ كان حقا عليهم أن يطبقوه أتم تطبيق، وأن يعملوا به، وأن يكونوا في عملهم عارفين لأهدافه ومقاصده، غير مضيفين إليه ما ليس منه، أو مقصرين في شيء منه، أو مخلين بشيء من تعاليمه.

« كيف كان دين الإسلام وسطًا بين الأديان ؟ » :

إن الإسلام وسط بين الأديان السابقة وعقيدته السلفية وسط بين العقائد، وعباداته وقرباته بأدائها الحق وسط بين الإفراط وبين التفريط.

علم الله أن بعضا من أهل الأديان قد غلوا وزادوا وتجاوزوا الحد، وأن البعض منهم قصروا وجفوا، فجاء بهذا الإسلام في وضع متوسط، لا إفراط فيه ولا تفريط، وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة المختصرة التي تبين وسطية الإسلام بين الأديان الأخرى.

« توسّط الإسلام بين اليهوديّة والنّصرانيّة » :

1- اليهودية :

لقد ثبت أن دين النبي موسى - عليه السلام- الذي يدين به أتباعه من اليهود كان دينا سماويا، اختاره الله وفضله في ذلك الوقت؛ ولكنه مؤقت بإرسال النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- فمنذ أن بعث الله محمدا -صلى الله عليه وسلم- وذلك الدين منسوخ.

ولقد دخل الدين اليهودي التحريفُ والتبديل بعد أنبيائهم، وما ذاك إلا أن الله ضمِنَ حفظ الشريعة الإسلامية بنفسه، فقال -تعالى- : { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** }[سورة الحجر، الآية: 9] فتكفل بحفظ هذه الشريعة من أن يدخلها شيء من الزيادة أو النقص أو التغيير.

أما الشرائع الأخرى فقد وكَّل حفظها إلى علمائها وأحبار أمتها، كما في قوله تعالى: { **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** }[سورة المائدة، الآية: 44] فكان ذلك سببا في وقوع التحريف والتبديل في الشرائع السابقة مما جعلها غير ملائمة. ثم بعدها بعث الله سبحانه وتعالى محمدا -صلى الله عليه وسلم- وحفظ هذا الدين بنفسه فأصبح هو الدين الوحيد الملائم للبشرية.

ومن التحريف الذي حصل في اليهودية على سبيل المثال: اعتقادهم في عيسى بأنه ولد بغي! وأن أمه زانية! حيث رموها ببهتان عظيم، كما قال تعالى: { **وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا** }[سورة النساء، الآية: 156] تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

2 – النصرانية :

وهناك دين النصرانية الذي يدين به اليوم عدد كبير جدا من أهل الأرض، ولا شك أن دين المسيح ابن مريم عليه السلام كان دينا سماويا؛ ولكن كان مؤقتا بإرسال محمد -صلى الله عليه وسلم- كغيره من الأديان السابقة، وهو الذي بشر برسالة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- في قوله: { **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** }[سورة الصف، الآية: 6].

وقد أخذ الله الميثاق عليه - بل وعلى كل الأنبياء- أن يتبعوا نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- متى بُعث، فقال -تعالى- : { **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ** }[سورة آل عمران، الآية: 81].

قال ابن عباس: ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به وينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء، أن يتبعوه ويؤمنوا به وينصروه[1]. ذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

ثم جاء النصارى، فزادوا غلوًّا، ورفعوا عيسى ابن مريم وأعطوه ما لا يستحقه!

فحكى الله عنهم أنهم قالوا: { **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ** }[سورة المائدة، الآية: 17] وكذلك حكى عنهم أنهم قالوا:

{ **وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** }[سورة التوبة، الآية: 30] وكذلك كفر من يقول إن الله ثالث ثلاثة، يعني الله، وعيسى وأمه، كما في قوله تعالى: { **أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ** }[سورة المائدة، الآية: 116].

---

[1]() وقاله ـ أيضا ـ علي بن أبي طالب وغيره، كما أورده ابن كثير في البداية 2 / 306 .

3- الإسلام :
ثم جاء الإسلام فتوسط بين هؤلاء وهؤلاء، فلا إفراط ولا تفريط، لا إفراط كالذين زادوا وقالوا: هو الله! أو ابن الله! أو ثالث ثلاثة! ولا تفريط كالذين قالوا: إن المسيح ابن بغي!
بل شهدوا أن عيسى عبد الله، ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، كما في قوله تعالى: ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ** ﴾[سورة المائدة، الآية: 75].
فشهد له بأنه رسول، وأكد ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾[سورة الصف، الآية: 6] فهو رسول كسائر الرسل، وهذا هو القول الوسط، لا إفراط ولا تفريط.

« ثانيًا: فيما يتعلق بالأعمال » :

وهكذا في مجال الأعمال فكان الإسلام وسطا بين اليهودية، والنصرانية ولإيضاح ذلك نذكر بعض الأمثلة المختصرة على ذلك :
المثال الأول :
فاليهود يرون الطلاق ولا يرون الرجعة، فلو طُلِّقت الزوجة فلا رجعة عليها لزوجها.
أما النصارى فيرون أن لا طلاق، فمتى عُقد للإنسان فلا طلاق له، ولا يحق له الطلاق.
وجاء الإسلام فتوسط، وجعل للإنسان أن يطلق للحاجة متى شاء، وأن يراجع بعد الطلقة الأولى، وبعد الثانية .. فقد يتعجل الإنسان في أمر لا بد فيه من الأناة فيتلافى ذلك بعد حين.
المثال الثاني :
اليهود يرون القصاص في القتل حتما وليس هناك مجال للعفو؛ بينما يرى النصارى العفو حتما.
فجاء الإسلام بالتخيير، وذلك بتخيير ولي المقتول بين القصاص، وبين العفو وأخذ الدية، أو العفو مطلقا فصار بذلك متوسطا، لا إلزام بالعفو، ولا إلزام بالقصاص، بل توسط بينهما.

المثال الثالث:
كذلك جاء الإسلام أيضا بالتوسط في أحكام المجازاة ونحوها. فقد أباح الله -سبحانه وتعالى- المجازاة على الأعمال بمثلها، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾[سورة النحل، الآية: 126].
كما أباح للإنسان أن يعاقب من يعتدي عليه بالمثل، في قوله تعالى: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** ﴾[سورة البقرة،

الآية: 194] أي بالمثل فقط لا بالزيادة، ولكنه فضّل الصبر لقوله : { **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** }[سورة النحل، الآية: 126].
لكن دين النصارى يأمرهم بأن يعفوا، وأن لا ينتصروا ولا ينتقموا لأنفسهم أبدا؛ ودين اليهود يحتم عليه بأن يستوفي وأن يقتص.
فالإسلام جاء بهذا الدين، الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

« توسّط الإسلام بين الدّيانات الأخرى » :

جاء الإسلام وأهل الوثنية يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، ويعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، وتشفع لهم عند الله، ويصرفون لها خالص حق الله؛ فلما جاء الإسلام نهاهم عنها نهيا صريحا، وحذرهم من التعلق بتلك الأوثان، وأمرهم أن يعبدوا الله وحده؛ فجاء بنسخ عبادة ما سوى الله، والقضاء عليها: فحرم عليهم عبادة القبر، أو الحجر، أو الغار، أو الصخرة، أو الشجرة، أو البقعة، أو الأولياء، أو الأنبياء، أو غير ذلك.
وهناك أديان انتشرت في هذه الأزمنة وكثر أهلها الذين يعتنقونها؛ فمثلا نجد هناك دينا يتسمى أهله بـ البوذيين وهم على عقيدة رجل يسمى: بوذا زينت له نفسه أنه على حق، فابتدع واخترع أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ومع ذلك فقد استمرت عقيدته وانتشرت في كثير من البلاد، ولا يزال الكثير ممن يدين بها ويقدسها ويعظم شعائرها وما تضمنته.
وهناك ديانات أخرى منتشرة كالهندوس الذين يعبدون الأوثان، أو معبودات سوى الله تعالى، فهم داخلون في الوثنية.
وهناك أديان ومذاهب منحرفة زين الشيطان لأربابها أنهم على حق فصاروا يدينون بها؛ وذلك مثل القاديانية والباطنية وغيرهم :
أما القاديانية فإنها ديانة باطلة، تخالف الإسلام كلية.
وأما الباطنية فهم الذين يجعلون للأعمال باطنا غير ظاهرها، فللعبادات عندهم باطن، ويعتقدون أن الشرع يريد غير هذه الظواهر، وهذه العقيدة الباطنية من أكفر الكفر، فهي أصل الضلال؛ لأنهم يخالفون الشرع بتعاليمه، وباعتقاداته.
وقد بقى على معتقدهم كثير من الفئات لا تزال موجودة إلى اليوم، يدينون بتلك العقيدة السيئة (الباطنية) مثل:
الدروز الذين يوجدون في كثير من البلاد العربية، وكذلك النصيرية الذين يدينون بهذه العقيدة السيئة الباطنية.
ومثل هؤلاء -وإن تسموا بالإسلام- فإنهم ليسوا حقا من المسلمين؛ ذلك أنهم لا يطبقون شعائر الإسلام.

« توسّط أهل السنة بين الفرق المختلفة » :

إن الذين دخلوا في الشريعة الإسلامية قد اختلط عليهم الأمر، وامتزج بهم من ليس بمحقق في الاتباع؛ حيث دخل في العقيدة وفي الإسلام من ليس منهم فانحرفت بهم الطرق، وتفرقت بهم السبل!

وقد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فسئل عن تلك الواحدة، فقال: **« من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي »**[1].

إذن فعقيدة أهل السنة والجماعة هي السيرة السلفية وهي العقيدة السنية، وهي الشريعة المحمدية، والملة الإبراهيمية، التي هدى الله إليها هذه الأمة.

وإذا نظرنا إلى هذه العقيدة، فإذا هي وسط بين العقائد الأخرى، فلا إفراط ولا تفريط؛ وسط في العقائد الكثيرة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : « فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم»[2].

وفيما يلي نسوق بعض الأمثلة المختصرة والتي تدل على وسطية أهل السنة وأهل العقيدة السلفية بين الفرق الأخرى المختلفة، فمن ذلك :

1- توسط أهل السنة في باب القضاء والقدر :

هناك فرقتان زائغتان في باب القدر: إحداهما قد غلت وأفرطت وزادت، والأخرى قد فرطت وجفت، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- : « وهم وسط[3] في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهما »[4].

فالقدرية وهم المعتزلة قالوا : إن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله وليس لله قدرة على هداية العبد أو على إضلاله، فهؤلاء قد أشركوا؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة.

والطائفة الأخرى وهم الجبرية: غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلا، وجعلوا الإنسان مقسورا ومجبورا، وليس له اختيارات أبدا، وعزلته بذلك عن الأفعال الاختيارية.

فجاء أهل السنة فتوسطوا وجعلوا له اختيارا، ولكن اختياره مربوط بمشيئة الله : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾[سورة الإنسان، الآية: 30] وقالوا : إن العباد فاعلون والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[سورة الصافات، الآية: 96] .

فهذا توسطهم في باب القضاء والقدر.

2- توسط أهل السنة في مسالة الإيمان والدين :

---

[1] أخرجه الترمذي برقم (2642)، (2643) في الإيمان، عن أبي هريرة وابن عمر.
[2] العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميّة.
[3] أي أهل السُّنَّة، وأهل العقيدة السلفيّة.
[4] العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميّة.

وهكذا أيضا توسطهم في باب أسماء الإيمان والدين،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « وفي باب أسماء الإيمان والدين[1] بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية »[2].

وذلك لأن هناك فرقتين منحرفتين، الأولى فرطت والثانية أفرطت.

فالمرجئة قالوا : لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة؛ وسموا بالمرجئة لأنهم قالوا إن الأعمال ليست من الإيمان، فأخروا الأعمال أي أرجئوها، فبذلك سموا.

فعندهم أن من صدّق بقلبه ولو لم يعمل فهو مؤمن كامل الإيمان، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحق دخول النار.

وأما الخوارج والحرورية والمعتزلة فقالوا: لا يستحق اسم الإيمان إلا من صدّق بجنانه، وأقر بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر، فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنا باتفاق بين الفريقين، ولكنهم اختلفوا هل يسمى كافرا أو لا ؟

فالخوارج يسمونه كافرا ويستحلون دمه وماله[3].

وأما المعتزلة فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فهو بمنزلة بين المنزلتين[4].

فجاء المسلمون من أهل السنة والجماعة وأهل العقيدة السلفية فتوسطوا فلا إفراط ولا تفريط، فجعلوا الإنسان مستحقا اسم الإيمان واسم الإسلام، ولو كان معه شيء من الذنوب وشيء من المعاصي،

فمرتكب الكبيرة عندهم ناقص الإيمان، قد نقص إيمانه بقدر ما ارتكب من معصيته، فلا ينفون عنه الإيمان أصلا ولا يخرجونه من الإسلام بالكلية

كالخوارج والمعتزلة، الذين يكفرون بكل ذنب، فمن أذنب ذنبا أخرجوه من الإسلام، وخلدوه في النار والعياذ بالله.

وكذلك لم يكونوا كالجهمية المرجئة؛ الذين يجعلونه كامل الإيمان، ويبحثون له الاستكثار من المعاصي ويعتقدون أنها لا تضره!

وهكذا، فلا إفراط ولا تفريط، فإن المعاصي لا تخرج العبد من الإيمان ولكن عليه منها ضرر، فإنها قد تجتمع على العبد فتهلكه، ولا يخلد في النار؛ ولكن يستحق دخولها، ويعذب بقدر سيئاته، إذا كان من أهل العقيدة السلفية الصحيحة، ومن أهل الإسلام، ولكن معه ذنب.

---

[1] () أي أن أهل السُّنَّة وأهل العقيدة السّلفيّة وسط بين هذه الفرق في مسألة الإيمان والدّين.

[2] () يقول الشّيخ العلامة محمّد خليل هراس: كانت مسألة الأسماء والأحكام أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- في ذلك الحين ما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية أثر كبير في ذلك النزاع.

والمراد بالأسماء هنا أسماء الدين مثل: مؤمن، مسلم، كافر، فاسق... إلخ.

والمراد بالأحكام أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة

انظر: شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميّة، تأليف محمّد خليل هراس، ص 127.

[3] () ولهذا كفروا عليًّا ومعاوية وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفّار.

[4] () وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال.

وهكذا توسط أهل العقيدة السلفية، فلم يكفروا بالذنوب كالخوارج، ولم يجعلوا المذنب كامل الإيمان كأهل الإرجاء، بل جعلوه مؤمنا ناقص الإيمان، أو قالوا: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته.

3- توسط أهل السنة في مسألة الصحابة -رضي الله عنهم- :

هناك طائفتان منحرفتان في تقييم الصحابة: إحداهما قد فرطت، والأخرى قد أفرطت! وأهل السنة بينهما. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « وفي أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم[1] بين الرافضة والخوارج »[2].

ففي الصحابة، بل في علي وأهل بيته خاصة، فرقتان:

فرقة تكفرهم وتستبيح لعنهم لخروجهم بزعمهم من الإسلام، ويقال لهم: النواصب، لأنهم نصبوا العداوة للصحابة، ويقال لهم أيضا: الخوارج.

وفرقة تغلو فيهم وتجعل عليا هو الله أو هو الرسول، أو أنه أحق بالرسالة، وتعبده، وتعبد أولاده وذريته من دون الله، وهذه الفرقة هي الرافضة الذين يسمون أنفسهم شيعة علي، أي أنصاره، وهم في هذا كاذبون، فليسوا بشيعة علي بل هم أعداؤه وأعداء طريقته وسيرته.

وأما أهل السنة فقد توسطوا لا إفراط ولا تفريط، فقالوا: إن عليا وأولاده وأهل بيته لهم حق الولاية والصحبة والإسلام والأسبقية والقرابة والنسب والصهر، ولكن لا نفضلهم على الخلفاء الذين قبل علي، ولا نغلو فيهم ونمدحهم بما ليس فيهم، بل إن لهم الشرف والقرابة، لكن لا يستحقون أن يوصفوا بما لا يستحقونه من علم الغيب والتصرف في الكون أو نحو ذلك. فلا يعطونه شيئا من حق الله تعالى، ولا من حق الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا نغلو فيه فنرفعه فوق قدره؛ فأهل السنة يصفونه بما يستحقه من فضل الله، وكذلك لا يسبونه هو ولا أحدا من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

فأهل السنة لم يزيدوا ويغلوا كغلو الرافضة، الذين جعلوا عليا إلها، حتى يقول بعضهم: أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين وحيدرة هو علي.

وبعضهم يدعي أنه أولى بالرسالة، ويزعم بأن جبريل عليه السلام خان الأمانة، وقد كان أرسل إلى علي، فصرف الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم !

ولم يفرطوا كالخوارج والنواصب الذين سبّوا وكفّروا أكثر الصحابة وأخرجوهم من الإسلام فجفوا!

فكان أهل السنة وسطا بين الغلو والجفاء، بين الإفراط والتفريط.

4- توسط أهل السنة في مسألة أولياء الله :

هناك طائفتان متطرفتان في حق الأولياء: طائفة قد غلت، وطائفة قد جفت!

---

[1]() أي أهل السُّنَّة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين هذه الفرق

[2]() العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيميّة.

فالطائفة الأولى هم الذين قد غلوا؛ وهم الذين يعبدون الأولياء!
والولي عندهم هو الرجل الصالح، الذي قد حصل من القرب ومن الصلاح في العمل ما سبب حب الله له، وأنه ولي من أولياء الله، يُجري الله على يديه أو لسانه من خوارق العادات ما لم يُجره على لسان غيره، أو على يدي غيره، قالوا: فهذا الولي يستحق منا أن نقدسه! فصاروا في حياته يغلون فيه، فيتمسحون به وبثيابه، ويتبركون بما مسه من ماء، أو غيره!! وصاروا بعد موته يعكفون عند قبره، ويتمسحون به، ويصلون عنده! ويعتقدون أن للصلاة عنده مزية وفضيلة، وأنه يشفع لهم في تكفير سيئاتهم، وفي قبول صلواتهم، وفي مضاعفة حسناتهم! وهم أيضا يعملون عند قبره من الأعمال ما لا يصلح أن تكون إلا لله وحده!! فهؤلاء قد غلوا، وتجاوزوا حدهم وطورهم.

أما الطائفة الثانية: فهم الذين لا يرون لعباد الله الصالحين قدرا، ولا يقيمون لهم وزنا، فلا يحبونهم، ولا يقتدون بهم، ولا يتبعون سيرتهم، بل يحقرون من شأنهم، ويحتقرونهم في أعمالهم، ويدعون أنهم -كما يقولون- أهل تشدد، أو أهل جمود، أو أهل رجعية وتقهقر، أو ما أشبه ذلك من عباراتهم السيئة !
فهؤلاء قد فرطوا، وأولئك قد أفرطوا !

أما أهل السنة: فقد توسطوا في باب أولياء الله من الصالحين والمؤمنين والأتقياء فأحبوهم؛ ولكن تلك المحبة لا تصل إلى أن نتمسح بتربتهم، ولا تصل كذلك إلى أن نصرف لهم شيئا من حق الله، كأن نذبح لهم من دون الله؛ بل محبتنا لهم تستدعي أن نبحث عن سيرتهم وسنتهم فنعمل بها حتى نكون مثلهم؛ فإذا رأيناهم يتهجدون بالليل تهجدنا؛ وإذا ذُكِر لنا أنهم يكثرون من القراءة والخشوع أكثرنا من ذلك.
فتحملنا محبتهم أن نعمل مثلهم، وأن نصلح من أعمالنا ما أصلحوه؛ سواء كانوا أولياء أو سادة أو صالحين، أو ذوي فضل، أو ذوي سبق فكلهم في حق الله سواء. نحبهم وتحملنا محبتهم على أن نقتدي بهم. فإذا كنا كذلك نكون متوسطين بين هؤلاء وهؤلاء، لا إفراط ولا تفريط.
هكذا جاء دين الإسلام، فالذين غلوا وزادوا وقعوا في الشرك؛ وذلك لأنهم عظموا هؤلاء المخلوقين، وجعلوا لهم شيئا مما لا يصلح إلا لله، فإن التعظيم عبادة، والعبادة لله وحده؛ لأن العبادة هي التذلل، فإذا كانوا يتذللون عند تلك الأضرحة، ويخضعون ويخشعون؛ فتلك عبادة. وإذا كانوا يتمسحون بهم، ويطوفون بقبورهم، ويطيلون الإقامة عندها؛ فذلك تعظيم، وتلك عبادة.
فأولئك الذين غلوا، ووقعوا في هذا الغلو أشركوهم بذلك مع الله، مع أنهم لا يرضون أن يشرك بهم؛ فالمسيح عليه السلام برئ من شرك من أشرك به، وهكذا كل من عُبد من دون الله -وهو لم يرض- برئ من شرك من أشرك به، وفي القيامة لا بد وأن يتبرءوا منهم، ويقولون نحن برآء من أفعالكم، كما قال -تعالى- عن الملائكة: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ**

أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ }[سورة سبأ، الآيتان : 40 ،41].

فأخبروا بأنهم ولو أنهم عبدوا الملائكة، فإنهم ما رضوا بذلك منهم ولا أحبوا ذلك، وإنما الشياطين والجن هي التي سولت لهم وزينت لهم أن يعظموهم، وأن يعبدوهم، وأن يؤمنوا بهم! وإلا فأنبياء الله، ورسله، وأولياء الله والصالحون من عباده بريئون من شرك من أشركهم مع الله سبحانه وتعالى.

وبالجملة؛ فإن المسلمين وأهل العقيدة السلفية قد توسطوا في أولياء الله، فأحبوهم محبة قلبية، وحملتهم محبتهم على أن يتبعوا أخبارهم، ويدونوا سيرتهم، وينظروا في الأشياء التي كانوا يعملونها، فعرفوا أنهم ما صاروا صالحين إلا بسبب زهدهم في الحرام وبعدهم عنه، وديانتهم بالحلال، وتقربهم إلى الله بأنواع القربات، فقالوا: هذا سبب صلاحهم، فلماذا لا نفعل ذلك حتى نكون مثلهم؟ فنصلح كما صلحوا، وحتى نكون أولياء الله كما كانوا، فأولياء الله يحبهم الله تعالى، ويوفقهم ويعينهم، فنفعل الأفعال التي أحبهم الله لأجلها؛ حتى يحبنا كما أحبهم، وحتى يعيننا كما أعانهم، ويهدينا كما هداهم.

« توسّط الإسلام فيما يتعلق بالأعمال » :

إن هناك أعمالا من الشريعة الإسلامية جاء الإسلام فيها بطريقة حسنة فأدخل الشيطان على بعض الناس الغلو والإفراط والزيادة!! كما أدخل على بعضهم التقصير والتفريط والنقصان! وذلك كله وسوسة من الشيطان وتسويل لهم؛ حتى لا يفعلوا الدين الحق كما جاء، ومن أمثلة ذلك:

1- في باب الطهارة:

إن الطهارة عبادة شرعية أمر الله تعالى بها عباده المؤمنين، ولكن بفعلها فعلا متوسطا، لا إفراط فيها ولا تفريط.

فهناك طائفتان متطرفتان في باب الطهارة: الأولى قد غلت، والأخرى قد جفت!!

فالذين غلوا : هم الذين زادوا في الطهارة ما ليس منها، وتشددوا فيها تشددا زائدا، حتى زهدوا فيما نُقل لهم من أفعال النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، ومن كيفية تطهره ووضوئه واغتساله وما إلى ذلك، فاعتقدوا أن ذلك لا يطهر، فزادوا، وغلوا!

أما الذين جفوا : فقد تساهلوا فيما هم مأمورين به، فلا يتمون الوضوء ولا يأتون به على الوجه الصحيح كما ورد في السنة.

فجاء الإسلام بالأمر الوسط، لا إفراط كأولئك الذين يغلون في الطهارة، ولا جفاء كأولئك الذين لا يبالغون ولا يسبغون الطهارة ولا يتمونها، فكلا الطائفتين منحرفتين.

فالطائفة الذين غلوا نرى أحدهم مثلا يتوضأ بصاع أو بصاعين! وترى أحدهم يغسل وجهه خمسا أو عشرا، ويرى أنه ما طَهُر! ويغسل يديه مرات قد تتجاوز العشر، كما حدثني أحدهم أنه يجلس في الوضوء مدة طويلة!.

والطائفة الأخرى الذين تساهلوا في الوضوء، فتجد أحدهم يتوضأ ولا يسبغ الوضوء، بل ربما يتوضأ وتبقى أماكن لا يصلها الماء، وذلك تقصير منهم.

فالوضوء عبادة يجب أن تؤديها على الوجه المطلوب، وكما وردت في السنة المطهرة بدون إفراط أو تفريط.

ولا شك أن التشدد والزيادة وسوسة من الشيطان، حتى يمل العبد من العبادة؛ وذلك لأنه متى دام على هذا التطهر برهة من الزمان -مثل سنة أو سنتين- مل وضجر، واستثقل العبادة، حتى ربما ترك الصلاة لاستثقال الطهارة، كما حدثني أناس وقع لهم ذلك الفعل، أنهم لما كان أحدهم لا يتوضأ إلا في ساعتين، قال: كيف أصلي هذه الصلوات؟! فصار يجمع الصلوات الخمس في وضوء واحد! ووقت واحد! فهو يتوضأ بعد صلاة العشاء ويصلي الصلوات الخمس!! فيكون قد أفرط حيث ترك الصلاة في مواقيتها.

فثقّل الشيطان عليه هذه الطهارة التي قد لا تستغرق إلا خمس دقائق أو نحوها، ثقلها عليه حتى يضيع العبادة! وقد يوسوس الشيطان للإنسان أنه انتقض وضوءه وهو في الصلاة، حتى يقطع! أو يوسوس له أن في ثوبه أو في بدنه نجاسة -ولو قليلا- حتى يخيل إليه أن صلاته بطلت؛ ليستثقل الصلاة فيمل منها بعد ذلك!!

وكثير من الناس تركوا الصلاة لأجل هذه الوسوسة، لما أن الشيطان ثقل عليهم الطهارة، فأصبحت الصلاة ثقيلة عليهم، وشاقة أيما مشقة، فعند ذلك رأوا أنهم يتركون الصلاة لأجل هذه المشقة! ولو رجعوا إلى تعاليم الإسلام، وإلى ما شرعه الله لعرفوا أن هذا ليس من الدين في شيء، وأن الإسلام جاء بالسهولة وباليسر، وبالسماحة، وبالبعد عن كل المشقات والصعوبات.

فهؤلاء هم الذين غلوا في باب الطهارة، الذين أفرطوا في ذلك.

وأما الذين فرطوا فإنهم أيضا كثير! وسبب تفريطهم -أيضا- وسوسة من الشيطان، حتى يبطل بذلك عملهم، فترى أحدهم إذا غسل وجهه لا يبالغ، ولا يسبغ، فيبقى في وجهه أشياء لم يأت عليها الماء! وإذا غسل يديه أو رجليه غسل بسرعة، ومسح مسحا لا يبالي به، فكثيرا ما يبقى من بدنه بقع أو في رجله، أو في عقبيه، فلا يسبغ ذلك ولا يتعاهده!

فهؤلاء من الذين فرطوا وجفوا، وقصروا في باب الطهارة، وكثيرا ما ننصح هؤلاء أن يسبغوا الوضوء وأن يتعاهدوا، حيث إن الشرع قد ورد بالأمر بالإسباغ في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لما عدد الخصال التي ترفع بها الدرجات، ويمحو الله بها الخطايا ذكر: « **إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط فذلكم الرباط** »[1].

---

[1] () أخرجه مسلم برقم (251)، ومالك (1 161) والترمذي برقم (51) في الطهارة.

وهكذا أيضا حثنا أن نتعاهد ما ينبو عنه الماء من الجسد ومن القدمين، خاصة في قوله -صلى الله عليه وسلم- : « **ويل للأعقاب من النار** »[1] وفي رواية أخرى: « **ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار** »[2] فالذين يغسلون غسلا خفيفا ولا يتعهدون أقدامهم، كثيرا ما يكون في مؤخرة القدم بقعة لا يمسها الماء، فتبطل بذلك الطهارة، فهؤلاء مفرطون؛ حيث إنهم نقصوا في الطهارة، وأولئك قد فرطوا وتشددوا!

ودين الإسلام جاء بالوسط وهو أن الإنسان يتوضأ وضوءا مسبغا، فيكفي بغسلة واحدة مسبغة كافية للعضو، وإذا زاد غسلة ثانية فهي أفضل، وإذا زاد غسلة ثالثة فهي أفضل من الاثنتين، ولا تجوز الزيادة على ثلاث، بل الزيادة على ثلاث تعتبر إفسادا وغلوا، فكيف بالذين يغسلون العشرات ؟!

2- في باب الاستنجاء وإزالة النجاسات :

وهكذا أيضا في باب الاستنجاء، الذي هو غسل أثر البول والغائط، فأكثر ما قيل فيه إنه يغسل سبع مرات، ولكن تجد أحدهم يغسله عشرات المرات، فيصب الماء على فرجه عددا من المرات!! وكل ذلك من الغلو والزيادة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

وكذلك في باب إزالة النجاسات، فترى أحدهم إذا وقعت عليه نجاسة لا يكتفي بغسلها مرتين أو ثلاثا مع زوالها، بل ربما غسلها عشرا أو أكثر من عشر وربما حك جلده حتى يخرج الدم!

3**- في باب الاغتسال :**

الاغتسال طهارة شرعية، أمر الله الإنسان بعد الجنابة ونحوها أن يغتسل، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا** ﴾[سورة النساء، الآية: 43] وقوله: ﴿ **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا** ﴾[سورة المائدة، الآية: 6].

فالاغتسال هو تعميم البدن كله بالماء. ففيه أيضا إفراط وتفريط، غلو وجفاء -على ما ذكرنا في الوضوء- فإن هناك من يتشدد فيقيم في الاغتسال ساعة، أو ساعات، وربما دلك جسده، وبالغ في دلكه حتى أخبرني بعضهم أنه يدلك جسده يحكه بأظفاره، حتى يخرج الدم من جلده لمبالغته في حك جسده ! وهذا بلا شك غلو وإفراط وزيادة، ما أنزل الله بها من سلطان، ولا شك أن الشيطان هدفه ومقصده من ذلك أن يضجر ويستثقل الصلاة ليتركها المرء كما ترك غيرها من العبادات!

وهكذا الذين يكتفون بالمسح، إذا اغتسل أحدهم لا يدلك جسده، بل يُمرّر الماء عليه ولا يبالغ، وهذا أيضا عليه خلل!

---

[1]() أخرجه مسلم برقم (241) وابن ماجه برقم (455).

[2]() أخرجه الترمذي برقم (41) وأحمد (4 191) والحاكم (1 162).

وقد عرفنا أن السبب وراء ذلك كله هو الشيطان الرجيم الذي هو عدو للإنسان، وحريص على أن يضله، ويبطل عليه أعماله، كما يبطل عليه عقيدته.

فالشيطان يرى أو يشم قلب الإنسان، فإن رأى فيه تصلبا، ورأى فيه تشددا جاءه من باب الغلو، وجاءه من باب الزيادة، وقال له: أنت لا يكفيك ما يكفي غيرك، بل عليك أن تزيد وتبالغ فإذا توضأ الناس للصلاة فلا تكتفي بالوضوء، بل اغتسل للصلاة!

وإذا توضأ الناس بالمد فلا تكتف به، بل توضأ بالصاع أو بالآصُع !

وإذا غسل الناس أيديهم ثلاثا، فلا تكتفِ بسبع ولا بعشر، بل زد عليهم حتى تكون أكثر! ويزيّن له أن الأجر على قدر النَّصَب، وأنه كلما كثر العمل كان الأجر عليه أضعافا مضاعفة!

وهذه وسوسة من الشيطان؛ وما ذاك إلا لأن دين الإسلام جاء بالأمر بما فيه المصلحة، والنهي عما فيه المفسدة.

فالاقتداء بأفعال النبي -صلى الله عليه وسلم- وبسنته هو خير الهدي، وما زاد على ذلك فهو محدث، وشر الأمور محدثاتها.

ومن لا يقنع بهدي النبي -صلى الله عليه وسلم- فإنه يعتقد أن دين الإسلام ناقص، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما بلغ البلاغ المبين، وأنه قصر في التعليم، حيث اقتصر على بعض الشرائع أو على بعض الطهارات، أو نحو ذلك!

فإذا اعتقد هذا الاعتقاد السيئ وقع -والعياذ بالله- في الانحراف وفي الضلال؛ فإن اتهام النبي -صلى الله عليه وسلم- أو أحد من الأنبياء بإخفاء شيء من الرسالة أو بالتقصير أو التغيير في شيء من أمر الشريعة، هو اعتقاد باطل وضال مضل يوقع في الخروج- والعياذ بالله- من دائرة الإسلام.

وقد أوقع ذلك كثيرا من الناس في الوسوسة في الأعمال الأخرى.

4- في باب النية للصلاة :

إن الشيطان يغالي عند البعض فيقول له: أنت ما نويت ، أو أنت نيتك ليست سليمة وصحيحة، أو أنت ما استحضرت النية!

فلا يزال يوسوس له أنه ما أتى بالنية المشترطة للعبادة من طهارة أو من صلاة، حتى تفوت عليه الأوقات، فتبطل عبادته، أو تفوته الصلاة، أو يفوته فضيلة الوقت! وهذا بلا شك زيادة على ما حده الله تعالى.

وهناك من لا يبالي فيصلي، أو يتوضأ بدون قصد صالح، وبدون نية حسنة يعتبر هذا أيضا مقصرا ومخلا بعمل من الأعمال المطلوبة.

والوسط في ذلك هو أن ينوي الإنسان بقلبه الطهارة، والدخول في الصلاة، أو ما أشبه ذلك، فإذا فعل ذلك فإنه قد نوى، واعتبر نيته صالحة كافية.

5- في باب القراءة في الصلاة :

ومما أوقع الشيطان فيه كثيرا من الناس، الغلو في القراءة في الصلاة أو الجفاء والتفريط في القراءة!
فأفرط في القراءة بعض الناس، كما فرط فيها آخرون، وكذلك في الأذكار وغيرها؛ فيوسوس الشيطان للبعض بأنكم لا تحققون القراءة والحروف إلا إذا نطقتم بها على هذه الكيفية، فإذا لم تفعلوا فقد اختلت قراءتكم واختل تكبيركم، واختلت أذكاركم وما إلى ذلك، حتى ذكروا أن بعضا منهم يتكلف في النطق بالقراءة حتى إذا أراد أن ينطق بالضاد ونحوها أخرج بصاقا معها من شدة تكلفه، وتشدده عندما يقول: { **وَلَا الضَّالِّينَ** }[سورة الفاتحة، الآية: 7] أو: { **الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ** }[سورة الفاتحة، الآية: 7] ؛ فيكلف نفسه حتى يخرج لعابه وبصاقه من شدة تكلفه، ولا شك أن هذا ما أنزل الله به من سلطان.
وهكذا أيضا تكلفهم في النطق بالتكبير، ونحو ذلك حتى ربما يخرج الكلمة عن وضعها، وما وضعت عليه، فيكرر الكاف ويشددها فيقول: الله أككبر وما أشبه ذلك! وعند قراءة التحيات يشدد التاء فيقول: أت أت التحيات! وما أشبه ذلك حتى تخرج الكلمة عن وضعها، وتخرج عن ماهيتها التي وضعت عليه. ولا شك أن هذا تغيير للكلام عن وضعه، وعن ماهيته وما هو عليه.
وهناك من يفرطون أو يقصرون في ذلك وهؤلاء أيضا على خطر؛ وذلك لأن هنا من لا يأتون بالتكبير كما ينبغي، فيأتي أحدهم بالكلمة دون أن يحقق حروفها، وكذلك في القراءة دون أن يحقق حروفها.
أما الدين فهو الوسط في القراءة وفي التكبير، وفي التشهد، وفي سائر أذكار الصلاة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، وهو أن تأتي بالقراءة بحروف بارزة ظاهرة يقرعها اللسان دون تكلف في التشديد، ودون تكلف في المد، ودون تقعر وتشدق وتكلف في الفصاحة، ودون تساهل بإدغام كثير من الحروف البارزة، أو عجلة وسرعة يختفي معها كثير من الحروف التي حقها الإبراز، فلا إفراط ولا تفريط.
فتكون القراءة متوسطة فإذا قرأت قراءة مفهومة مسموعة حروفها ظاهر شدُّها ومدُّها على ما ينبغي، فإن تلك القراءة بعيدة عن الجفاء، ولا غلو فيها، ذلك الغلو الذي يُمل من العبادة، ويوقع في تغيير الكلم وتحريفه عن مواضعه.

6- في باب أداء الصلاة :

وهكذا أيضا في أداء الصلاة مثلا؛ فإذا نظرنا إلى بعض الأئمة الذين قد يزيدون في الصلاة ويطيلونها إطالة قد تكون مملة في الأفعال أو القراءات أو ما أشبه ذلك، فيملون ويضجرون من معهم من المأمومين، ويستثقلون صلاتهم، وينفرون منهم، وهؤلاء أهل إفراط وغلو وزيادة.
وهناك طرف ثان، يقصرون ويخلون، وينقرون الصلاة نقرا، ولا يطمئنون في حركاتها وفي أفعالها كما ينبغي، فلا تنعقد صلاتهم، ولا تكون مجزئة؛ فيكونون سببا في إبطال صلاة من صلى معهم، ولو كثر الذين يرغبون الصلاة معهم، فهؤلاء في طرف، وهؤلاء في طرف ثان، ودين الله وسط.

والصلاة المعتدلة متوسطة بين هؤلاء وبين هؤلاء، فالإمام يجب أن يراعي حال المأمومين، فلا يطيل إطالة تملهم وتضجرهم، ولا يخفف تخفيفا يخل بالعبادة أو يترك بعض أركانها وواجباتها المطلوبة أو لا يطمئن فيها الطمأنينة الشرعية، بل يحرص على الاقتداء بالصلاة النبوية في القراءة، وفي الأذكار، وفي غيرها، فيكون بذلك متوسطا بين الغالي والجافي؛ فانقسم الناس إلى طرفي نقيض، وتوسط أهل الحق بين ذينك الطرفين.

والخلاصة: أننا لو تتبعنا كثيرا من الأعمال لوجدناها كذلك؛ فقد نجد الكثير من الناس يشقون أنفسهم، ويضجرونها في تحمل كثير من التطوعات التي يحرمون الأنفس لذتها وراحتها التي منحت إياها، ويقصر الآخرون، فلا يأتون بشيء منها أصلا! ودين الله وسط بين ذلك.

فمن ذلك قصة عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه- فإنه كان في أول شبابه كثير العبادة، فشق على نفسه، فكان يصوم النهار كله، كل الدهر، وكان يصلي الليل كله، ويختم القرآن في كل ليلة في تهجده، فهذا فيه غلو، وفيه مشقة، وفيه تعب يؤدي إلى أنه يفوت عليه حقوقا واجبة؛ فبين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذا غلو، وقال : « **إن لنفسك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، وإن لجسدك عليك حقا، وإن لربك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه**»[1]. فالزيادة -لا شك- تمل الإنسان من العبادة، وتُضجره.

وهناك آخرون لا يعرفون مثل هذه العبادات ولو كانت نوافل؛ فلا يصلي أحدهم في الليل أصلا، ولا يصوم إلا ما فرض عليه، ولا يأتي بشيء من النوافل، ولا يتقرب بشيء من القربات وكأنه غافل، أو مستغن عن هذه العبادات ونحوها!

ولا شك أن الذي كلف نفسه وشق عليها، متطرف شديد التطرف، والذي تساهل في العبادات، ولم يأتِ بشيء من العبادات المسنونة، ولم يتقرب بشيء من نوافلها، هو أيضا متطرف غاية التطرف.

ودين الإسلام وسط، وهو أن تتقرب إلى الله بقربات لا تكلف نفسك، ولا تحرم نفسك حقها. فلا تنسى عبادة الله، ولا تشتغل بالملذات وبالشهوات عن حق الله، ولا تعطي نفسك كل ما تشتهي من لذة ونوم، وشهوة بطن، وشهوة فرج؛ فهذا فيه أيضا إفراط وتفريط.

« توسّط الإسلام في أمور العادات » :

ولك أن تقيس أيها الأخ على ذلك كل شيء حتى الأمور العادية، مثل أمور المأكل والمشرب والملبس وما أشبه ذلك، فإن الإسلام جاء فيها بالوسط وهنا نأتي ببعض الأمثلة المختصرة لتوضيح هذا الأمر فمن ذلك :

[1]() أخرجه مسلم برقم (1159)، عن عبد الله بن عمرو بعدة ألفاظ، كما أخرجه أحمد (2 194).

1- في باب اللباس:
لا شك أن اللباس الذي هو زينة للناس نعمة كبرى أنزله الله، وامتن به على عباده بقوله: { **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا** }[سورة الأعراف، الآية: 26].
وقد انقسم الناس في اللباس إلى ثلاثة أقسام: طرفين ووسط.
أما الطرف الأول: فهم أهل البذخ والإسراف والإفساد، فقد يتكلف لباس أحدهم مئات أو ربما يبلغ الألوف، ذكرا كان أو أنثى!
وهذا بلا شك فيه إفساد وإسراف وتبذير للمال بغير حق، ويعد إفراطا وغلوا وزيادة، ولو أنه اقتصد واستعمل ما يكفيه، وتصدق بهذا الزائد أو أنفقه في وجه من وجوه الخير، لكان خيرا له.
وهناك طرف آخر: قد أنعم الله عليه ورزقه، ولكنه قصر على نفسه، فقد روي: أنه -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلا عليه ثياب رثة وممزقة، في ذلّة وهوان! فسأله الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقال: أليس قد رزقك الله مالا؟ قال: بلى، قال: من أي أنواع المال؟ قال: من كل أنواع المال، من الإبل والخيل والغنم، والرقيق، فقال: إن الله إذا أنعم على عبد أحب أن يرى عليه آثار نعمته[1].
فكون الإنسان غنيا، ومع ذلك يقصّر على نفسه، فيقتصر على ثياب دنسة، ممزقة، قد تبدو منها عورته، يعتبر هذا تقصيرا وإخلالا.
وخير الأمور أوسطها، فلا يسرف الإنسان في اللباس، ولا يقصر فيه، بل الوسط بين ذلك؛ لا إفراط ولا تفريط.

2- في باب المأكل والمشرب:
إن التوسط مطلوب أيضا في المأكل والإنفاق بشكل عام، فتجد كثيرا من الناس يسرفون، فيحشدون أنواعا من الأطعمة، وكلها تذهب، ولا يؤكل منها إلا النزر القليل. وآخرون يكون عندهم أموال، ولكن يحملهم البخل والشح على أن يُقتِّروا على أنفسهم وعلى أولادهم، فيبيتون طاوين وجياعا؛ على الرغم مما عندهم من أموال!
فلا يأكلون إلا شظفا من العيش، أو علقة من الطعام، فيقتّرون على أنفسهم، والأموال عندهم، يكدسونها ويجمعونها!
والدين هو الوسط، فلا تقتير ولا إسراف، كما في قوله تعالى: { **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** }[سورة الفرقان، الآية: 67].

3- في باب الإقبال على الدنيا :
انقسم الناس في الإقبال على الدنيا إلى ثلاث طوائف:

---
[1]() هو بمعناه عند أبي داود برقم (4063) والنسائي (8 196) وأحمد (3 473) عن أبي الأحوص عن أبيه وهو مالك بن نضلة الجثمي، وروي عند الترمذي برقم (2983)، كما في التحفة (8 106) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بنحوه.

* **قسم أكبوا على الدنيا** وعظموا شأنها، وركنوا إليها وأحبوها، وجعلوا دنياهم أكبر همهم ومبلغ علمهم، فشغلوا بها أوقاتهم كلها! ولا شك أن هؤلاء قد نسوا الآخرة، وأنهم قد زادوا في هذا الأمر وقد غلوا.

* **وقسم قد زهدوها** ولكن أوقعهم ذلك في تركهم مصالح أنفسهم، وانعزلوا عن الناس وعما الناس فيه، وأضاعوا من تحت أيديهم، فلم يكتسبوا مالا يغنون به أنفسهم، وأضاعوا أولادهم دون أن يعطوهم، ويكفوهم ويرزقوهم، وما أشبه ذلك. فهؤلاء أيضا مخلّون ومقصرون.

* **والأمر الوسط بين ذلك** هو أن يطلب الإنسان من الدنيا الكفاف والقوت، كما في قول النبي -صلى الله عليه وسلم- **:** « **اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا** »[1].

لا إفراط ولا تفريط، فلا انقطاع عن الدنيا انقطاعا كليا يضيع الإنسان نفسه، ويعرضها للحاجة والتكفف وسؤال الناس، ويعرض أهله للجوع والضنك وضيق المعيشة، ونحو ذلك.

وكذلك لا يجعل الإنسان همه كله مُنصَبّا على الدنيا صارفا فيها أهواءه، وصارفا فيها حياته، وصارفا فيها أوقاته، وناسيا آخرته، وناسيا الأعمال التي تقربه إلى الله.

لا هذا ولا هذا، بل يشتغل في دنياه بقدر، ويشتغل لآخرته بقدر، ولا يبالغ في محبة الدنيا التي تنسيه الآخرة، ولا يبالغ في التقصير فيها، ذلك التقصير الذي ينسيه حظه من الدنيا، الذي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن لنفسه عليه حقا.

4- في باب المعاملات:

وكذلك في المعاملات؛ فإن كثيرا من الناس يتعاملون ويتوسعون في باب المعاملات، فلا يبالي أحدهم بأية معاملة، سواء الغش، وسواء الربا، وسواء الزيادة على غير ما أنزل الله، وسواء الأخذ للمال بالباطل.

ومثل هؤلاء قد زادوا وتوسعوا في باب المعاملات، فأفرطوا، وتوسعوا بحيث إنهم لا يعتقدون أن هناك معاملات حرام! عندهم الغش، والزيادة على المسلم وغير ذلك حلال وجائز، ومباح! يبيحون لأنفسهم ما لم يُبِحه الشرع!

ونجد أيضا من تشدد في باب المعاملات، وامتنعوا عن أشياء أباحها الله؛ فامتنعوا عن البيع الذي أباحه الله، وامتنعوا عن التجارة التي أباحها الله، وامتنعوا عن التكسب والعمل الذي أباحه الله، واعتقدوا أن ذلك ممنوع، وأن فيه خطأ؛ فوقعوا في التقصير والنقص، كما وقع الآخرون في الزيادة والغلو! وخير الأمور أوسطها، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.

---

[1] () رواه البخاري، كما في الفتح (11 250) ومسلم برقم (1055) وابن حبان برقم (6343).

« الخاتمة » :

وبالجملة فإن السبب الذي أوقع هؤلاء وهؤلاء في الإفراط والتفريط هو الشيطان -أي: وسوسة الشيطان- حتى يخرج هؤلاء من العبادة، ويخرج هؤلاء أيضا؛ فيمل الناس كثيرا من العبادات بأن يثقلها عليهم، ويوقع الآخرين في المحرمات أو الشبهات التي تجر إلى المحرمات. وقد أضل الشيطان خلقا كثيرا ليصدق على الناس ظنه، كما قال تعالى: { **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** }[سورة سبأ، الآية: 20].

نسأل الله أن يبصرنا للحق الذي هو دين الحق، والذي اختاره الله للأمة دينا وحقا؛ ونسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله ملتبسا فنضل.
ونسأله أن يعيذنا من نزغات الشيطان وأوهامه ووساوسه، وأن يجعلنا من الذين أنار الله قلوبهم بطاعته، وبصرهم بالحق ودلهم عليه، ورزقهم الهدى والاستقامة، وسلوك الصراط السوي الذي يؤدى بنا إلى النجاة في الآخرة.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.